الصين

(تتمة ما سبق)

وللامبراطور في الصين السلطان المطلق حتى في شرائع المملكة يلغي منها ما يشآء ويسنّ ما يشآء والصينيون يعظمونهُ الى حدٍّ لا يحطّ عن مقام العبادة ومن خالفهُ منهم فهو الذنب الذي لا تسعهُ مغفرة ولا تُقبَل فيهِ شفاعة . وهو لا يخرج من بلاطهِ الا في النادر واذا خرج كان محفوفاً باعظم مظاهر الجلالة والأُبَّهة وحيثما مرّ خرّ الناس لهُ سُجَّدًا . ولهُ مجلس شُورَى ينعقد من الوزرآء ويتولى الاحكام القضآئية في المملكة سبع محاكم منها محكمةٌ مخصوصة بأُسرة الامبراطور وسائر امرآء السلالة ونصف رجال المحاكم من الصينيين والنصف الآخر من المنشوريين

واهل الصين ينقسمون الى سبع رُتَب وهي الولاة والجند والعلمآء والكهنة والفلاحون والصناع والتجار وللولاة عندهم مهابة عظيمة حتى انهُ لا يكلمهم احدٌ الا وهو ساجد ولا يخرجون الا في المواكب الحافلة ومتى خرجوا تنحّى لهم الناس ووقفوا وهم باسطون ايديهم حتى يجوزوا . والولاة رتبٌ يتميز بعضها من بعض بالملابس وليس لاحدٍ ان يزين ملابسهُ بالذهب سواهم واكابرهم يمتازون بقلائد يجعلونها في اعناقهم . ومن علامات الشرف عندهم ريشة طاووس يجعلونها في كُمهم ولا يهبها الا الامبراطور تُعطى من يدهِ

والمنتخَبون لمقام الولاية لا يكونون الا من العلمآء واما سائر الوظائف

فيمكن ان ينالها كل دارس بشرط ان يكون من اصحاب الاجازات ولذلك لا تكاد مدينةٌ عندهم ولا قريةٌ تخلو من المدارس وكلها تقام على نفقة الرعية لان الحكومة لا تمدّ الا مدارس العاصمة التي يدرس فيها ابناء كبراء الدولة واما اغنياء البلد فيستحضرون مؤدّبين لاولادهم الى منازلهم . وهم يشرعون في تلقين الاولاد معرفة الحروف منذ السنة الخامسة ولهم عنايةٌ بالغة بتجويد الخط لان التقارير التي ترفع الى المقامات العالية ينبغي ان تكون محكمة الرسم نقية الرقعة وكتابتهم باقلام يتخذونها من وَبَر الارانب على مقبضٍ من الخيزران ويمسك القلم عمودياً فوق الصحيفة بحيث تتحرك الاصابع وحدها وفي هذا من الصعوبة ما لا يسهل الا بالعادة . ومتى ختم الطلبة دروسهم يرسلون للامتحان في احدى المدن من الرتبة الثالثة فان افلحوا اعيد امتحانهم في مدينةٍ اخرى من الرتبة الثانية اي في عاصمة احدى الولايات ثم في باكين عاصمة المملكة وهناك تُعطَى لهم رتبة تسين-سي وهي بمنزلة دكتور

اما العلوم في الصين فمعظمها يدور على العلوم الادبية ولهم دواوين شعرية وروايات قَصَصية وتمثيلية ومن مشاهير شعرائهم الامبراطور كَنْغ هي والامبراطور كيان لُنغ وكان هذا الثاني شديد الكلف بالشعر حتى انهُ جمع نُخَباً منهُ شرع في طبعها سنة ١٧٧٢ بلغ المطبوع منها سنة ١٨١٨ ما ينيف على سبعة وثمانين الف مجلد . وعندهم كثيرٌ من الكتب الادبية والفلسفية اشهرها مصنفات كنفوشيوس ومنشيوس وفلاسفة آخرين وقد ترجمت هذه الى اللاتينية وبعض لغات اوربا الحديثة . ولهم مؤلفات واسعة في الجغرافية

ولا سيما جغرافية البلاد الآسوية من الصين واليابان وتُبَّت وتركستان وسائر بلاد آسيا العليا ولكلها خرائط محكمة عنها اخذ اهل اوربا في الاعصر المتوسطة ما نقص في خرائطهم من رسوم بعض البلاد الآسوية وجزائر المحيط . وهذه المؤلفات تشتمل على كل ما يتعلق بالمملكة من وصف الامكنة والمياه والابنية والآثار والغرائب الطبيعية والصناعات المختلفة والمتاجر والمزروعات والاحكام والتواريخ والتراجم وغيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠ مجلداً ضخماً

ومن العلوم التي صنفوا فيها المواليد الثلاثة والطب والبيطرة والفلاحة والفنون الحربية والموسيقى ولهم موسوعات علوم مؤلفة من مئتي مجلد . وعندهم ميلٌ شديد الى علم الهيئة الا انهم قلما ادركوا منهُ ولهم ندوةٌ فلكية قديمة يجتمعون فيها لكن اعمالهم لا تتعدى وضع تقويم سنوي يتولى عملهُ قومٌ من الاجانب ولا بدّ فيهِ من الاشارة الى ايام السعد والنحس وهذا القسم منهُ موكولٌ الى اناسٍ من الصينيين . وهم يجهلون حساب الكسوف والخسوف ولذلك فانهُ عند وقوع حادثٍ منهما يكون لهُ في بلادهم روعٌ عظيم فيلبسون السواد وينقطعون عن الاعمال

اما علم الكيميآء فمع انهُ غير منزّلٍ عندهم منزلة احد العلوم فقد اصطلحوا على اشيآء توصلوا اليها بالتجربة منها انهم يُصَفّون المآء الكدِر الذي يأخذونهُ من النهر بحيث يمكن ان يُشرَب على الفور وذلك بأن يخوضوهُ بانبوبٍ اجوف من الخيزران يجعلون فيهِ قطعةً من الشب . ومنها انهم يستخرجون دهن كل نوعٍ من المواد ويجهّزون الاصباغ الانيقة

ويدوفونها ويلوّنون بها الحرير والقطن والورق وغيرها . ولهم خبرةٌ وافية بسبك الحديد يصنعون منهُ آنية رقيقة خفيفة ويغشونها بالطلآء وقايةً لها من الكسر ويصنعون ايضاً الشبَه ويفرغون منهُ تماثيل . ومعلومٌ ان صناعة البارود عندهم قديمة من قبل التاريخ الميلادي الا ان بارودهم رديءٌ وصنعتهُ شائعةٌ يعرفها كل احد بل من فروض الجند عندهم ان كل جنديٍّ يتولى صنع البارود الذي يلزمهُ بيدهِ

واما صناعة الزجاج فهي عندهم منذ القرن السادس للميلاد وقد توصلوا الى ان يلبّسوا صفائح الزجاج طبقةً من الفضة ويستعملونها احياناً مرآئي لانهم عادةً يستعملون الوذائل وهي المرآئي المعدنية يتخذونها على الغالب من مزيج النحاس والزنك . وقد انتهت اليهم مرةً ساعةٌ من صنع اوربا فصنعوا مثلها فجآءت محكمة الصنعة فهم على الجملة اذكيآء العقول سريعو الادراك مليُّون بالصنائع الدقيقة

اما الصنائع الحِيَلية اي الميكانيكية التي اشتهر بها اهل الصين وبلغوا منتهى البراعة فيها فهي صناعة خرط العاج وصدف الدرّ ولهم من هذه الصناعة المراوح المشهورة والشكائك الكبيرة والحِقاق المزخرفة وتماثيل الهياكل واشباهها وغير ذلك من الطُرَف اللطيفة البديعة النقش مع رخص اثمانها

ولهم في الخيزران صناعةٌ واسعة فانهم يتخذون منهُ كراسيَّهم وموائدهم واسرّتهم واشرعة مراكبهم وصواريها وقلوسها ويصنعون منهُ العربات وآلات رفع المآء وغيرها ويتخذون منهُ عجينةً يصنعونها ورقاً للكتابة وفي الجملة فهو

عندهم انفع من تفاريق العصا

وهم يصنعون الورق من عصافة الرزّ وغيرهِ من الحبوب ومن قشر التوت والقطن والقنَّب والقرّاص وانواع أُخر من النبات وقد يكون الطبق منهُ كبيراً حتى يكفي لأن يغشّى بهِ جدار غرفةٍ متوسطة وورق الكتابة الذي يصنعونهُ يكون مصقولاً كالرقّ

وقد عُرفت صناعة الطبع عندهم منذ القرن العاشر للميلاد وهم يتخذون لهُ صفائح من الخشب يحفرونها ولا يستخدمون الحروف المتقطعة الا للجرائد او للكتب التي لا قيمة لها ولهم حبرٌ خاصٌّ للطبع . ومن عادتهم ان من طبع كتاباً يضع عليهِ خاتمهُ وهو يكون عادةً مربع الشكل عليهِ كتابةٌ بالقلم القديم والحبر الذي يختم بهِ يكون على الغالب احمر ويحفر عليهِ اسم صاحب الكتاب او فقرةٌ حكمية

اما الموسيقى فقديمةٌ في الصين يستعملونها في جميع الاحتفالات وليس عندهم ارقامٌ موسيقية ولكنهم يدلون على اسمآء النغم والدواوين بحروف هجآئية على ان هذه الطريقة انما ارشدهم اليها احد المرسلين

ولهم المامٌ بالتصوير فانهم يصورون الازهار والشجر والمنازل والسفن وغير ذلك من المناظر تصويراً حسناً ولكنهم لا يدركون تمثيل القرب والبعد ولا يحسنون رسم الوجوه ولا اظهار المجسمات وهو خلاف ما قرّرهُ عنهم ابن بطوطة . ولهم يدٌ في صنع التماثيل من الخشب والحجر ولكنهم يسيئون نِصبة الانسان والحيوان وصناعتهم الهندسية في منتهى البساطة

اما الطب فلا مدرسة لهُ عندهم يُتلقى فيها ولكن من اراد تعلُّم هذه

الصناعة لزم احد الاطبآء فيعلمهُ اصولها واسرارها وكل علم الطبيب عندهم ان يدرس حركة النبض . واما التشريح فلا اثر لهُ عندهم لانهُ محرَّم عليهم ديناً واكثر علاجهم بغلايات العقاقير والمنعشات والحمية وعوض الفصد يستخرجون الدم من ظاهر الجلد بان يفركوهُ بقطعةٍ من النحاس فركاً شديداً وقد يغرزون ابراً في مواضع من البدن فيكون الشأن في معرفة المواضع التي تغرز فيها وكيفية اخراجها

اما ديانة الصينيين فانهم يقولون بمبدأين احدهما للخير والآخر للشرّ وان هذين المبدأين اتحدا فتولدت عنهما الكائنات وكان اول حيٍّ خرج من العدم پان كو وهو ابو البشر وكان نصفهُ على شكل الانسان والنصف الآخر على خلقة البهيمة ولبثت سلائلهُ كذلك ادهاراً متطاولة وكانت تتطور شيئاً فشيئاً بتدريج الطبيعة حتى بلغت ما هي عليهِ اليوم من كمال الخلقة والعقل

واقام الصينيون دهراً مديداً يعبدون الهاً واحداً وهو الناشئ عن اتحاد المبدأين ويسمونهُ شنغتي ثم حدثت عندهم عبادة الارواح وتطرقوا منها الى عبادة الاوثان فاكثروا من المعبودات من كل نوع وألّهوا المشاهير من اسلافهم . وفي اوائل القرن الخامس قبل الميلاد ظهر لوشيوس فنقح شيئاً من عقائدهم ووضع لهم شرائع وعبادات لكنهُ اقرّ عبادة الارواح والعظمآء . وهو من جملة من ألّهوهُ بعد موتهِ ويقولون انهُ وُجد قبل خلق السمآء والارض وانهُ تقمص شكل البشر واستحال عدة مرات وهو عندهم مثال العقل الاعلى . اما مولدهُ فكان سنة ٦٠٤ قبل الميلاد وفي كتبهم ان

امهُ حبلت بهِ احدى وثمانين سنةً وولد وقد ابيضّ شعرهُ ولذلك سمي لوشيوس (لاو تسو) اي الطفل الاشيب . ولهُ كتابٌ يسمى توتكين هو مستودَع جميع حكمتهِ وهو يبحث عن اصل الكائنات ومصيرها ويردّها باسرها الى علةٍ اولى وفي كلامهِ مواضع تدلّ على انهُ كان يذهب الى التثليث

وجآء بعدهُ كنفوشيوس وكان مولدهُ سنة ٥٥١ قبل الميلاد ونسبهُ ينتهي الى الامبراطور هُنغ تي ولم يكن من مذهبهِ البحث عما وراء الطبيعة ولا الفلسفة على علل الاشيآء وطبائعها ولم يكد يجيء في كتبهِ شيءٌ عن صفة الله ولا النفس ولكن كل كلامهِ كان مقصوراً على وصف السيرة التي يجب ان يكون الانسان عليها في الحياة الدنيا وما يتعين عليهِ اكتسابهُ من العلم والفضائل اقتداءً بالسلف واستناناً بسنة من تقدم من حكمآئهم وملوكهم وهو الامر الذي تقرب بهِ من قلوب الصينيين فمالوا اليهِ بكليتهم وما برح ملوكهم ينزّلون انفسهم منزلة تلاميذ لهُ وبمذهبهِ تمذهب العلمآء وتبعهم السواد الاكبر من العامة حتى غلب على مذهب لوشيوس فكانت بين اتباع المذهبين مناصباتٌ طويلة تمكن في اثنآئها اصحاب لوشيوس من اغراء الامبراطور شي هُنغ تي فنكّل باصحاب كنفوشيوس واحرق كتبهم ولم يسلم منها الا كتابٌ واحد هو مرجع اتباعهِ الى اليوم

ثم انهُ في اواسط القرن الاول للميلاد طرأ على البلاد الدين البوذي من ناحية الهند فدخل الناس فيهِ افواجاً وتكاثر دعاتهُ واتباعهُ بحيث انهُ لم يدخل القرن الثالث حتى عمّ اكثر بلاد الصين . وكان سببهُ فيما ذكروا انهُ جآء في بعض كلام كنفوشيوس حديثاً عن نفسهِ انهُ انما أُرسل ليكون

ممهداً لزعيمٍ كبير سيأتي من ناحية المغرب فلما كان التاريخ المذكور جهز الامبراطور مُنغ تي سفناً وامرها ان تتوجه غرباً تبحث عن هذا الزعيم فذهبت مسافةً طويلة في البحر حتى انتهت الى احدى جزائر الهند فارست عندها ووجدت فيها تمثالاً لبوذا فحملتهُ الى الصين وكان ذلك سنة ٦٥ للميلاد ومذ ذاك انتشرت عبادة بوذا وعُرف عندهم باسم فُوا والمذهب مشهور فلا حاجة الى الاطالة بهِ . ومع انتشار هذا المذهب اليوم وعمومهِ فان عبادة السمآء وكنفوشيوس لم تبرح شائعةً في المملكة لانها مذهب الامبراطور وخاصتهِ غير ان هؤلآء كلهم انما يتمذهبون بهِ بحسب الظاهر لمكانهم من البلاط واما في دِخلتهم فاكثرهم على مذهب فوا وبيوتهم مملوءة من اصنامهِ

ونمسك القلم على هذا القدر من الكلام على هذه المملكة العظيمة وفي كل ما ذكرناهُ في هذا الفصل ولا سيما في فلسفة كلٍّ من هذه المذاهب كلامٌ طويل لا يسعنا الخوض فيهِ في هذا المقام فاقتصرنا منهُ على ما ذُكر طلباً للاختصار

كلام صحيّ في الشعر

لحضرة النطاسي البارع الدكتور اديب افندي الزيات

(تابع لما قبل)

تقدم لنا في عددٍ ماضٍ من هذه المجلة ذكر الطرائق الواجب اتباعها في غسل الشعر وتنظيفهِ والآن نأتي على تتمة ما في هذا الفصل كما وعدنا استيفآءً للفائدة فنقول